ملامح الفكر الوجودي في رواية (أيوب) للروائي هشام توفيق الركابي

لا شكَّ أنَّ قارئ الرواية يقف على قناعات تشكل أرضية ينطلق منها في قراءاته للنص الروائي ، ففضلا عن تسلحه الثقافي والمعرفي لابُدَّ أن تتوفر المعرفة الكافية بالفكر الذي تسير فيه الرواية من خلال ابطال وشخوص واحداث وقناعات ، ولعلَّ أُولى تلك القناعات تكمن في الخيوط الفكرية التي تحرّك بطل الرواية او بصورة أخرى الاحداث التي تجسد المرجعيات التي ينطلق منها الروائي سواء أكانت دينية أم عقائدية أم فلسفية ، من هنا ينطلق الباحث في التفتيش عن الملامح الوجودية لرواية ايوب للروائي هشام توفيق الركابي والذي يلمح فيه هذا الفكر من خلال اقوال وتصرفات البطل فضلا عن بعض احداث الرواية وصولا الى التلاعب في المسار الزمني ، فالدراسة تهدف الى البحث عن قراءة لما هو خلف النص ، أي ما الذي أراد أن يقوله المؤلف على لسان بطله؟ وما هي الأفكار التي أفصحت عنها أحداث الرواية ؟ وما الذي يختفي وراء التساؤلات التي توزعت على لسان بطل الرواية (أيوب)والشخصيات ؟

وتأسيسا على هذا فقد سار البحث في اتجاهين : الأول يقف على ملامح الفكر الوجودي وعلاقتها ببطل الرواية(أيوب) في حين اتجه المسار الثاني على قراءة في الزمن الوجودي وزمن الرواية وهو البحث مدى توفيق الروائي (هشام توفيق الركابي) في ملاءمة المضمون لشكل الرواية وبالتالي البحث عن الفكر لا تخرج بعيدًا عما يدور في القسم الاول ، وهذا ما تكشف عنه الرواية بدءًا بالتلاعب في مسار الزمن وهو تلاعب يخدم مضمون ما أراد أن يفصح عنه الكاتب به من خلال ابطال روايته وصولًا الى إبراز تقنيات سردية على حساب آخر وعلى وفق استراتيجية رسمها الروائي .

القسم الأول: ملامح الفكر الوجودي وعلاقتها ببطل الرواية(أيوب)

قارئ رواية (أيوب) يقف لأول وهلة وهو يحتار في أمر هذا البطل (أيوب) من أي الشخصيات وما هي سلوكاتيه؟ فحركاته تنبأ بل تكشف عن هاجس من وراء ما يمرُّ به من ألم :

((الألم يتضاعف في صدري , واللهاث يلازمني بلا توقف ويقطع نفسي المضطرب...)) (الرواية /10) ، والالم هنا يشكل جزءًا من تساؤلات الوجود الذي يصعب أن يحقق الانسان ذاته في عالم مليئ بالعوارض

والعقبات وبالتالي الآلام والامراض المتوالدة نتيجة الهم والقهر المتولدين من عدم تحقيق الانا وجودها فـــــي الواقع ، ((اما الألم فشعور الذات بان شيئا يحدُّها في وجودها العيني . فهي تريد أن تحقق إمكانياتها في العالم الذي قذفت به ؛ لأن الاتجاه الاصلي فيها هو تحقيق الإمكانيات قدر الوسع والطاقة ؛ وتحقيق الامكانيات يصطدم بالغير ؛لأنه لا يجري في داخل الذات))[1] هذه الفلسفة الفاقدة للأمل ترجم عنها البير كامو قائلا متسائلا((ترى لأجل أي هدف نعيش، وكيف يجب علينا ان نعيش ؟ ترى هل هناك غاية ما للحياة ؟ وفي وجودنا الخاص هنا امكانية امتلاك كمال السعادة .يجب ان نعيش .ولكن كيف ؟‹ان المأساة الحقيقية ليسيت مأساة المصير ، بل مأساة الحرية ، مأساة الحرية القاسية للروح ، التي تشطرنا الى انفسنا والى العالم›))[2] من هنا شكلت تلك الفوضى والاضطراب عند ايوب شعورا متناقضا إزاء مواقف الحياة ((أو هذا الشعور المتناقض ظل يداهمني كلما التقينا بعد ذلك وظللت في محضرها أحسُّ مع كل ما يعتريني من مشاعر البهجة والسرور , وكأني أسير قبضة مجهولة لها من قوة ما تستطيع معها تدمير وجـــــــــودي , وسحقي في الوقـــت الذي تريد)) (الرواية / 86).

هذا التصور انطلق من مبدأ حدده سارتر نفسه إذ قال: الوجوديون وهو انّ الانسان ((يخلق اوامره الاخلاقية ويستخدم قواعد اخلاقية خاصة به ، ينتج ان جميع انماط السلوك الانساني واحدة ، ولا واحد من هذه الانماط يملك قيمة موضوعية . الانسان يفعل قبل معرفته بان نشاطه لا يملك أي قيمة موضوعية ، او قواعد واقعية ما ، ولهذا يقول سارتر ‹أن الانسان ما هو الا اندفاع لا مفيد))[3]، فالنظرة الوجودية لا تبالي بالقيم الانسانية بل إنَّ نظرتهـم ((الى القيم ليس فيها معنى الجدية بقدر ما فيها من شهـــــــــوة بهيمية لا مباليـة))[4].

---

[1] الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي : 158. دار الثقافة – بيرت ، ط3 ،1973م.

[2] من فلسفة الوجود الى البنيوية(دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية) : ت .أ. أساخاروفا:67. ترجمة وتقديم : د.احمد البرقاوي، دار المسيـرة – لبنان ، ط 1، 1984م.

[3] المصدر نفسه : 75.

[4] الوجودية فلسفة الوهم الانساني : د.محمد ابراهيم الفيومي : 58. مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، ط1 ، 1983م.

قوة مجهولة , إحساس غريب , اضطراب,فوضى,تدمير للوجود وسحق, نتساءل هنا من أي أنواع الشخصية هذا؟ هل هو سياسي كما تتضح هذه الصفة في شخصية (عذاب صبر) صديق أيوب او إنَّه إنسانٌ سويٌ درس وتعلَّم ؛ كي يوظِّف ما تعلَّمه في خدمة حياته كما في شخصية (حسين داغر) المحامي الذي قنط المدينة ؟ هكذا أيوب دخل الى الرواية مجهول الشخصية , وسوف يترك النص وهو مجهول كما سنوضحه ومع ذلك يمكن القول :- إنَّ (أيوب)شخصية فلاحية بسيطة ,أحداثه طبيعية تجسّد الذات الانسانية وهواجسها بعيدًا عن البحث عن علاقة هذه الذات بغيرها من الموجودات في العالم الخارجي، إن((الوجود Existenz هو الذات الفردية التي تظل دائما فردية والتي لايمكن الاستعاضة عنها أو استبدالها أبدا))[5] ، من هنا تبدأ الوجودية ((من الانا ...الأنت... الهو ... من الذات ، فيغدو الوجود ذاتيا ...))[6] بهذه الذاتية نفهم بان الآخرين هم الجحيم كما عنون سارتر بذلك احدى مسرحياته [7] ولعل هذا ما دفعني الى ملاحقة أيوب (بطل الرواية)على أرضية الرواية وبالتالي القول بوجود ملامح لفكر أراد الروائي أنْ يكشف عنه من خلال هذه الشخصية .

إنَّ مفهوم (الوجودية) في علوم الأدب تعني موضوعات مثل ((التناهي ، والاغتراب والذنب ،والموت ، وأخيرا ، وليس آخرا ، ذلك الشعور الحاد الغريب الذي لا يمكن تعريفه والذي ظهر بوضوح عند معظم الوجودي ابتداء من كيركجور))[8] هذا المحيط الذي تترعرع فيه الوجودية ، وخرجت من رحمه فالادب الوجودي

---

[5] الوجودية : جون ماكوري : 77 . ترجمة : د .امام عبدالفتاح امام ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، عدد (58) ،اكتوبر 1982م.

[6] الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليس : د. يمنى طريف الخولي :44 . دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة ، 1998م.

[7] ينظر : Extrait audio et texte de Jean-Paul Sartre, Huis clos, Emen © 1964et Gallimard ©2004

نقلا الجحيم هم الآخرون جان بول سارتر : الخميس، 11 فبراير، 2010 مدونة عثمان آيت مهدي ، ترجمة :عثمان آيت مهدي http://eloustadhothmane.blogspot.com/2010_02/blog-post_11.html.

[8] الوجودية : جان ماكوري : 284

يعني ((العزلة والنبرة المأساوية والتوحد بالوجود والاغتراب...))[9] وهذا ما أقتنع به اهل القرية في رواية ايوب ، فالقرية اعتزلت ايوب ، واصبح لا يأتي اليها الا المامًا.[10]

الفرد الوجودي الذي وجد من تساؤلات اخذ هو يبحث عنها من قبيل كيفية المجئ والتكوين ثم من اين؟ وكيف؟ ومتى؟ والى اين يتجه؟ اسئلة برهن عنها العمل الروائي والشعري على حد سواء ،وهو ما لايمكن أنْ يفصل به بين الوجود كفلسفة وبين الوجود كأدب ، فالقاسم المشترك بين (الوجودية) الفلسفية وغيرها هو مفهوم (الإنسان)، حيث تطرح الفلسفةالوجودية ((مصير الإنسان الفرد، بل ومعنى الوجود البشري ككل بوصفها قضية مركزية ومحورية، ومن هنا كان التقارب بين (دستويفسكي) و(الوجودية)، بل إن الحديث عن (وجودية) دستويفسكي يُقصد به تناوله لمسألة أزمة الوجود البشري،ويرى الباحث (فالتر كوفمان)، وهو من المفكرين المتخصصين بالفلسفة الوجودية في كتابه (الوجودية من دستويفسكي إلى سارتر) بأنَّ أعمال دستويفسكي هي مدخل إلى الفلسفة الوجودية، وبالتحديد تيار (الوجودية المؤمنة)، ويضعه إلى جانب جبريل ملرسيل وبرغسون.)).[11] ، فالرواية الوجودية تقّدم لنا الإنسان ((صورة واقعية ملموسة ، تصوّر لنا في إطاره الاجتماعي المبتذل ، او تصفه لنا في جوّه العائلي الاعتيادي ، فتكشف عن عمق أهوائه ورذائله وشتى مظاهر نقصه ...))[12] فالرواية تصوّر (أيوب) ذاك الرجل الذي يتبع شهواته مستلذًا من نجلاء بنت الرجل الأرستقراطي مستلذًا بوجوده في هذا الكون الذي فرض عليه القيود والرقابة ، فالحياة التي يعيشها أيوب تعبّر بوضوح عن تطلّعاته بالنيل من نجلاء وهو ما تكشف عنه مواقف أيوب وأحداثه ،وهذا يفسّر ما يفكر به ايوب

---

[9] الوجودية بين الأدب والفلسفة(دستويفسكي نموذجا) : د. بُرهان شاوي . مجلة المدى ، الاخبار ، الملاحق ، ملحق المنارات بتاريـــخ : الثلاثاء 22-11-2011
3509http://www.almadasupplements.com/news.php?action=view&id=

[10] ينظر : رواية ايوب : 7.

[11]. الوجودية بين الأدب والفلسفة(دستويفسكي نموذجا) : د. بُرهان شاوي. مجلة المدى ، الاخبار ، الملاحق ، ملحق المنارات بتاريخ : الثلاثاء 22-11-2011
3509http://www.almadasupplements.com/news.php?action=view&id= .

[12] الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب : د. زكريا إبراهيم :33. مج الآداب ، ع3 ، 1963م.

قريب من ملامح البطل الوجودي ، فالوجود يكشف معنى الحياة من خلال المواقف والأحداث .[13] الأمر الذي تجلّى لدى الركابي من خلال روايته (أيوب) وهو يعرض الأحداث المؤلمة والتي يمكن أن تقع لأي إنسان منا ،فالفكر الوجودي لا يقدّم الأشخاص والأبطال النادرين الذين يأتون من أعمال خارقة أو شجاعة بل نراه يقدم شخصيات بسيطة سهلة تتعاطف معها وتتأثر بها ، بل من الممكن للقارئ أن يكون قد اجتاز نفس الأزمات التي مَرَّ بها البطل الوجودي.[14] ،فالنثر كما بينه سارتر– في مقالة نشرت كمقدمة بمجلته (الازمنة الحديثة) في كتابه (ماهو الأدب) للمترجم جورج طرابيشي – عند الوجوديين ((أداة كشف وتغيير، ويؤثر في الجماهير عن طريق الإقناع، والناشر كاتب حرّ يخاطب أحراراً ولكن لابُدَّ في النثر من الجمالية، وإلاّ فلا يكون أدباً. وجماليته ليست مقصودة لذاتها بل هي إضافية ومكمّلة ولا تنفصل عن الموضوع. والشخصيات بشر واقعيّون من لحمٍ ودم وروح، يعون قضايا الإنسان المعاصر بكثافة وعمق، ويُعانون الصراع في المجتمع لإثبات حريتهم والتمتع باختيار موقفهم ومصيرهم في هذا الكون المعقد، وإثبات إرادتهم الحرة، ومن ثم الالتزام الخاصّ وتحمّلُ مسؤولية القرار...))[15].

إذن هنا مع شخصية أيوب أزمة عاطفية يمهّد لها حبٌّ عنيف لإنسان مراهق تعاطفنا معه في محاولة وقوف الكثير من العادات والأعراف أمامه ، إنَّ اختفاء أيوب المفاجئ للقرية شَكَّلَ محورًا أساسيًا في غموض بعض أحداث الرواية ومنها وداعه أرضية الرواية دون أنْ نفهم أو ندرك إلى أين ؟.. انه إلى مكان مجهول ((بيد أنَّ القرية إثر ذلك غرقت القرية في تكهنات وظنون لا آخر لها تتعلق بحقيقة الرجل الذي تمَّ إكتشاف جثته في الكوخ ،أكانت تلك الجثة المشوهة المتآكلة لأيوب أم لا ؟...وإن لم تكن فمن هو ؟...)) (الرواية /201) وهو ما يعود بذاكرتنا الى جبرا والتعبير عن وجوديته صراحة أو تلميحًا في جُلِّ رواياته. فمعظم أبطاله سارتريون بطريقة أو بأخرى، ففي روايته الأكثر تعقيدًا (البحث عن وليد مسعود) والتي كتبها عام 1978، يختفي البطل وليد مسعود فجأة ((ويعد اختفاء وليد مسعود الفكرة المحورية في الرواية ، فقد بدأ جبرا

---

[13] ينظر: الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب:33 .

[14] ينظر: المصدر نفسه : 36 .

[15] المذاهب الادبية لدى الغرب مع ترجمات ونصوص لأبرز اعلامها : د. عبد الرزاق الاصفر : 186. منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، 1999م.

صفحات روايته بحدث اختفاء البطل وليد مسعود ، فقد اختفى فجأة دون أن يودع أحدًا من أصدقائه ، وترك كل شيء وراءه : بيته ، خادمه ، سيارته ، أمواله ، ورحل عن بغداد سرًّا ، ولم يرجع ، وتتضارب الآراء حول تفسير هذا الاختفاء ، فقد قيل إنه هاجر إلى كندا أو استراليا ، وغير ذلك من التكهنات ، وقد انشغل أصدقاء وليد بالحديث عن هذا الاختفاء الذي بدا لغزًا محيرًا ...))[16] .

لقد قلَّلَ الوجوديون من قيمة المعرفة العقلية في ميدان الفلسفة. فهم يرون ((أن المعرفة الحقة في الفلسفة لا تكسب بوسيلة العقل، بل ينبغي بالأحرى التعامل مع الواقع، هنا التعامل أو الخبرة يتم على الخصوص بالقلق، أو في تجربة القلق، وفيه يدرك الانسان أنه موجود محدود قاصر ، ويدرك هشاشة وضعه في العالم هذا العالم الذي يلقى إليه الإنسان إلقاء، ويدرك أخيرا أنَّه سائر إلى الموت))[17] ، إنَّ الشك والقلق ساورا (أيوب)منذ الصفحة الأولى في الرواية ((تسألت بريبة فلم يسبق لهما، دعوني مرتين في غضون أسبوع واحد ...))(الرواية /5) فالقلق ((هو الاحساس بالصراع المطلق الذي لاحلَّ له ، ذلك الصراع الذي يتمزق فيه الموجود .فإذا بلغ مثل هذا القلق حدَّه الاقصى ، أفضى بالانسان الى الجنون))[18]،ايوب ليس وحده تساوره الريبه بل هناك من الشخصيات من يشترك معه بنفس تلك الملامح ((والحقيقة كانت الريبة ذاتها تدور في عيني والـــــدي وعمي...)) ((الرواية /104) فهو لا يستقر له بال ولا حـــــال ((وأنا لا أكاد أستقر على رأي واحد أو مكان واحد ...)) (الرواية /7) إنّه الملل ذلك الملل العميق الذي يخيمُ كأنَّه ضباب صامت في مهاوي الواقع الإنساني، والذي يدفع بالإنسان إلى الانسلاخ من شخصيته والانعزال والخروج عن المجتمع ، اضافة الى بيان دور الانا/ الذات فـ((الحقيقة الوحيدة التي يمكن الوثوق بها ولها مطلق اليقين وجود ذاتي الفردية ...))[19] ، من هنا كان ((صون الوجوديين للحرية ، ونقدهم للمجتمع وأعرافه ، ودعوتهم الفرد للخروج

---

[16] الاغتراب في رواية" البحث عن وليد مسعود": د .حماد حسن أبو شاويش و د .إبراهيم عبد الرازق عواد: 128. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيه2006 .

[17] إ.م. بوشنسكي "الفلسفة المعاصرة في أوربا": 215 . ترجمة د. عزت قرني ، سلسلة عالم المعرفة ع 165 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1992م.

[18] المذاهب الوجودية من كير كجورد الى جان بول سارتر :ريجبس جوليفيه : 53. ترجمة : فؤاد كامل دار الاداب – بيروت ، ط 1 ، 1988م.

[19] قراءة نقدية في وجودية سارتر : علي حنفي محمود: 17. المكتبة القومية الحديثة – طنطا ، 1996م.

على كتلة الجماهير ، ورفض القيم الجاهزة وسائر العموميات ... وذلك ليحمل وحده مسئولية ذاته ...))[20]، ولربما هذا ما منع ايوب من تحقيق هدفه على الرغم من لقاءاته المتواصلة مع نجلاء ((تعددت رؤيتي لنجلاء اثر ذلك. بيد ان سنة أخرى مضت دون أن تثمر كل تلك اللقاءات السرية عن فرصة واحدة تمكنني من ان أبثها بعضاً مما أعانيه أو اهمس في أذنها كلمة حب ...)) (الرواية : 98) .

إن القلق الذي يبحث عنه سارتر يتمثل في شعور الانسان بنفسه ((وقد وقع في ‹‹ العدم ››،ملتصقًا بالفراغ .من هنا القلق او الشعور الماساوي بامكانية بناء الذات الحر .والقلق في وقوعه بين الامكانية والواقع يكشف عن الوجود ذاته ويقترح عليه تحقيق ذاته ،.وامام العالم اللامعروف والخطير ، العالم الذي رمي فيه الانسان بدون أي اختيار من جهته ، يكون الشعور الاولي هو شعور الخوف ...القلق هو احساس بالفراغ ‹العدم › في عالم اناي الخاصة))[21] وليس الغثيان– في رواية سارتر (الغثيان) سوى الشعور بالاختناق الذي يسببه الكشف للوجود، كأنَّه شيء يأخذك من كل جوانبك بغتة ويثقل على قلبك أشبه ما يكون بحيوان ضخم لا يتحرك، فالإنسان الحيّ ((لايخلو من ازمات قلق ويأس))[22] هذا القلق وعدم الاستقرار يبني الوجوديون عليه نظرتهم للإنسان فـ((الفيلسوف الوجودي يعلن أنَّ الإنسان قلق ...))[23] ومن هنا كان من الطبيعي ((أن ينتج مشاعر خطيرة يحسها الفرد في سلوكه عبر الحياة))[24] ،ولقد ظهرت أيضا عند لوثر((أشد العناصر تشاؤما في الفكر الوجودي فالإحساس بعجز الإنسان ، وإثمه ، جنبا إلى جنب مع الرغبة في الخلاص ،كانت أفكارا مسيطرة عل فكره،))[25]، فالكائن وكما يرى هيدجر –الذي يسميه (كائن –هنا) – إنَّه (((كائن قلق) : لم

---

[20] الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليس: 45.

[21] .من فلسفة الوجود الى البنيوية(دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية) : ت .أ. أساخاروفا: 72 .

[22] السارترية تهافت الأخلاق والسياسة: د. خليل احمد خليل : 44. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت ، ط2،1982م.

[23] الوجودية فلسفة انسانية : سارتر:20. ترجمة : حنا دميان ، دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت ،1950م ، وينظر : الأدب ومذاهبه: د .محمد مندور : 160. دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة.

[24] كافكا في الرواية العربية والبطل المطارد: الدكتور نجم عبدالله كاظم:242. مجلة جامعة دمشق – المجلد 26 ،ع 1و2،2010 م.

[25] الوجودية : ماكوري : 57.

تجعل أي فلسفة القلق مبحثًا محوريًا لها مثل الوجودية، فالقلق هنا هو من أهم الأحوال العاطفية التي تميز حقيقة الكائن أو الإنسان. سيكولوجيا يشير القلق إلى مظهرين متداخلين الأول عدم الرضا عن الحالة الحاضرة والثاني خشية المستقبل. هيدجر يخلع على القلق دلالة وجودية ، فالقلق ناتج عن انكشاف العالم للذات والعودة إلى الذات لاستنطاقها، والشعور الحاد بالقلق يعيدنا إلى حقيقة أمرنا وهو أننا قذفنا إلى العالم دون سند ، وعلى الرغم منا نحن لم نختر كل ما نحن فيه))[26] ،فالتساؤلات تطرح عند عدم وجود فهم للحياة وفقدان وظيفة الإنسان فيها فدوره غير معروف((أخيراً ، وبعد مضي خمسة عشر عاماً وثلاثة أشهر ، أصبح بإمكاني مغادرة هذا المنفى الآسن النائي، والى الأبد))(الرواية : 205)... وهكذا فإنّ الحياة هنا تستند إلى واقعة عبثية تبرهن عليها كرهها لها ومحاولته مغادرتها وما السبب الذي وجد من اجلها هنا، يقول سارتر ((أنا موجود بلا سبب وبلا تفسير وقد أُلقي بي في العالم دون أن أعرف لماذا والحقيقية أنني مسؤول عن كل شيء لكني لست مسؤولاً عن مسئوليتي؛ لأنني أساس وجودي...))[27] وهو ما يذكرنا بنفس الصورة العبثية لسعيد مهران في رواية نجيب محفوظ (اللص والكلاب) فالبطل ((غاص في الأعماق بلا نهاية. ولم يعرف لنفسه وضعا ولا موضوعا ولا غاية. وجاهد بكل قوة ليسيطر على شيء ما، ليبذل مقاومة أخيرة. ليظفر عبثا بذكرى مستعصية. وأخيرا لم يجد بُدًّا من الاستسلام فاستسلم بلا مبالاة... بلا مبالاة...))[28] ،ثم يقول البطل كلمته الاخيرة ((وقالت حياته كلمتها الأخيرة بأنها عبثت))[29] ، وكما يلاحظ ذلك في قصص زكريا تامر التي تبدو عليها فكرة العبث ولاسيما في مجموعة "صهيل الجواد الأبيض"، إحساس بالعبث وعدم المبالاة، ففي قصة "الأغنية الزرقاء الخشنة" نجد البطل يقول: ((أنا رجل فقير بلا عمل. لا أضحك. لا أبكي. أحب

---

[26] إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة: (2) مارتن هيدجر: عبد الله المطيري : الرياض الخميس 9 ذي القعدة 1427هـ – 30 نوفمبر 2006م – العدد 14038 ينظر الموقع :
. http://www.alriyadh.com/2006/11/30/article205429.html

[27] فلسفة سارتر في الأخلاق والسياسة : د.سحبان خليفات:54.

[28] اللص والكلاب : نجيب محفوظ : 47. الأعمال الكاملة ، المجلد الثالث ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط 1، 1991.

[29] المصدر نفسه : 47.

الخمر، والغناء، والأزقة الضيقة...عيناي نعشان وذئبان مريضان، قلبي قد يكون بلبلا مذبوح العنق، قد أكون شحاذا تبكيه عتمة الليل...))[30].

إنَّ دفاع سارتر عن وجوده إنَّما هو دفاع عن حرية الفرد ... الانا التي يكون من خلالها الموجود واقعيا، فـالحرية ليست ((قدرة من قدرات الروح او ملكة يكتسبها الانسان ، ويمكننا أنْ نتناولها بعيدة عنه وان نصفها كشيء مستقل ، وانما هي في صميم الإنسان بحيث لا يمكن تناولها دون ان ندرس الوجود الانساني))[31] هذا الوجود الانساني الذي يرتبط ((لا بواسطة الواقع التجريبي الذي قد صار على هذا النحو المعين نتيجة لاختياري ، وإنما ارتبط بتلك الخطوة الحاسمة التي اخطوها في لحظة الاختيار تجاه نفسي بواسطة فعل خالق ذاتي autocrèateur فأنا قد اصبحت على النحو الذي اردته لنفسي))[32] ، إن فهم سارتر لما هو إنساني يمكن تلخيصه في نظرته إلى الدافع الأساس للعمل الذي لا بُدَّ أنْ يوجد في طبيعة الوعي الذي هو الرغبة في الوجود، ويعود الأمر لكل إنسان في أن يمارس حريته بطريقة لا يخسر فيها وقائعية وجوده على وفق حقيقة أنَّه كائن إنساني حرٌّ، فسارتر ((يمزج بين الحرية والوجود ، بين الحرية واللامعقول ، بين الحرية والتلقائية التي يشعر بها الفرد لاشباع مشاعره ووجداناته وتحقيق اغراضه))[33] ، فتحقق ذاتية الفرد مرهون في منحه القدر الكافي من الحرية بل ان الفرد يمثل جوهر الحرية ، وهذا يفسر العزلة التي عاشها أيوب وانزواءه بعيدًاعن المزاولة الاجتماعية والتعايش مع الآخرين، وهو ما يتوافق مع وجهة نظر سارتر واتباعه التي تقضي بعزل ((الانسان عن الطبيعة والمجتمع ذلك انه في نهاية الامر يدرجون وجود الانسان في الوعي الذاتي للفرد المنعزل المتقوقع في ذاتيه ، والخالق لذاته وللعالم ككل))[34] فالعزلة التي عاشها وراءها حدس لانعلمه ،فهو (أيوب) يعيش في قرية منقطع عنها روحيًا((امّا مسألة عودتي الى حياة القرية والعيش وسط أبنائها لم

---

[30] صهيل الجواد الأبيض : زكريا تامر: 10. منشورات مكتبة النوري– دمشق، ط2، 1978.

[31] فلسفة جان بول سارتر : د.حبيب الشادلي : 133 . دار المعرف – الإسكندرية ، جلال حزى وشركاؤه ، أهداءات 2003 .

[32] المذاهب الوجودية من كير كجورد إلى جان بول سارتر: ريجيس جوليفييه: 218 .

[33] Popkin,Richard H.and Avrum stroll, Philosophy Made Simple, P.294. نقلا عن قراءة نقدية في وجودية سارتر : 63.

[34] من فلسفة الوجود الى البنيوية(دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية) : ت .أ. أساخاروفا: 22.

تخطر لي على بال ؛ لسبب بسيط وهو حدسي الخاص بأنَّني سوف لا أجـــــــد وقتًا كافيًا لفعـــــــل ذلك ...)) (الرواية /7) ، فمشكلة العزلة انها ((تلقي ضوءًا شديدًا على الأنا كما أنها تتصل اتصالاً واضحاً بمشكلة المعرفة التي تساعد على الانتصار على العزلة ، وتحقيق التنوير الداخلي وإخفاق(الأنا)في إقامة العلاقة ال (نحن) والشعور الحاد القلق بالعزلة الذي ينشأ عن هذا الاخفاق يمهِّد لنشأة شعور الذات – المتزايد – بنفسها))[35] ، ويؤكد هايدجر هذه القطيعة في معرض حديثه عن (الوجود الزائف Inauthentique) فهو((الذي تميل فيه الذات الى الانخراط والاندماج مع الناس والارتماء في أحضان الآخرين ، آملة في الافلات والهروب من حريتها ، والتنصل من مسؤليتها ، والتخلص من شعورها بالقلق))[36] ، فهو يهرب من القلق((وهو بهروبه هذا يحاول أن يفلت لا من حريته فحسب، أي أنه لا يتلهف فقط على بلوغ المستقبل، بل أنه يحاول أن يفلت من ماضيه أيضاً؛ ذلك لأن الإنسان يتمنَّى لو أنَّه في استطاعته إدراك هذا الماضي باعتباره مبدأ لحريته، في حين أنَّ هذا الماضي قد سبق له وانتهى تماماً، وصار جامداً وغريباً عن صاحبه. غير إنه يستحيل على الإنسان الخلاص من القلق))[37] ، فالحدس الذي عاش به أيوب ما هو إلا رموز يتلقاها من عالمه الباطن ، إنّها نظرة التشاؤم التي يختفي فيها سراب الأمل ، فأيوب وكأنَّهُ يصيح قائلًا.((ليس في وسع أحد ان ينهض بممارسه حريتي عني ، بل أنا مسؤول عن نفسي، ولا سبيل الى التماس اعذار للتخلي عن حريتي ، لكن تلك الحرية هي وحدها التي تعبّر عن وجودي باعتباري كائنا غريبًا قد عزل في عالم لا سبيل له الى ان يتحدّ به تماما او أن يندمج فيه اندماجا كليًا))[38]، أي ان (الحرية) التي ((يتمتع بها الانسان يستخدمها للقضاء على ذاته هي تأكيد آخر لوجوده وان كان ذلك بالموت))[39]، وهو ما

---

[35] العزلة والمجتمع : نقولاي برديائف : 92 – 93 . ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : على ادهم ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط2 ، 1986م.

[36] قراءة نقدية في وجودية سارتر : علي حنفي محمود: 26.

[37] الفلسفة الوجودية: ماجد محمد حسن ، الحوار المتمدن–العدد: 802 – 2004 / 4 / 12 الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=16927 .

[38] مشكلات فلسفية (1) مشكلة الحرية : زكريا ابراهيم : 209 دار الطباعة الحديثة – مصر ، ط2 ،د.ت .

[39] . 5–3 , II , Abbotempo . "Death by choice ." (1965), Kessel ,Neil نقلا عن الموت في مسرحيات البير كامو: عامر محمد حسين سلمان : 41 . (ماجستير) – جامعة بابل ،2009م.

يذكرنا بتلك الرؤية التي تقصي الآخر وتنطوي على الذات في رواية "أرصفة وجدران" لمحمد زفزاف ، وهي رواية مغربية تمثل الاستغراب الروائي بالشكل والمضمون وسار فيها الكاتب على طريقة سارتر الوجودية ، تقوم على تصوير الاحداث ومجالًا فكريًا مؤسسًا للحوار، إنَّ بومهدي- البطل الأساس لرواية "أرصفة جديدة"- يكره العالم ويجرّده من كلِّ قيمة: ((إن العالم مهترئ وقديم، بل عادي جدا)) [40] بل إنَّ كراهيته تمتدُّ لتشمل اقرب الناس إليه وهي أُمه :((إنّي أكرهها وأكره حتى البيت الذي يجمعني وإياها، إنها تعطف علي، ولكني أعتقد أنّها لا تصلح لعطفي عليها، إنّها لا تعجبني، لست أدري لماذا؟))[41] ، فأدبيات سارتر تمتـــــاز ((بكونها تكشف عن ابعاد اليأس الإنساني في الأزمات الوجودية الكبرى ..))[42] وهذا اليأس ينشأ من مرحلة الفراغ الايماني الذي يفقده الانسان وبالتالي ينتهي الى صورة الدمار للذات سواءً بالانتحار او الانطواء والانعزال بعيدًا عن الناس وهم ما انتهت به قصة البطل أيوب، فالصبر يقترن مع الايمان الذي لا ينكشف الا بالتجارب والصعوبات فالياس والجزع والأذى النفسي يُفهم من ذلك الحوار الذي جرى بين ايوب ومعالجه الطبيب :((انت تعرف كم تقدم الطب في زماننا ، ولكن كل ما تحتاجه هو شيء من الصبر بل الكثير منه يا دكتور ...))(الرواية :194).

يميز هيدجر الوجود الصحيح عن الوجود الزائف مبينًا انَّ الأخير ((هو ذلك الوجود الذي تميل فيه الذات الى الإندماج مع الناس والانغماس في المجموع والارتماء في احضان الآخرين ، مؤملة أن تهرب من حريتها وتتنصل من مسئوليتها وتتخلص من القلق ،اما الوجود الصحيح – فهو على العكس من ذلك – وجود تشعر فيه الذات انها قائمة بنفسها ، مسئولة عن ذاتها ، وأنه قد خُلّي بينها وبين حريتها ، فتأخذُ على عاتقها – وحدها- تبعة وجودها))[43] ، وهذه النتيجة تكون حاصلة كما يرى سيد قطب – وهو يتكلم على منهج – من اتصال الفرد بالعالم اللاشعوري الباطني [44] ، فأفعالنا تقترب ((في النهاية من ضرورة باطنة تجعل علة

---

[40] ارصفة وجدران : 9 . منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1974.

[41] ارصفة وجدران: 13 .

[42] السارترية تهافت الأخلاق والسياسية :د. خليل أحمد خليل : 35.

[43] تاريخ الوجودية في الفكر البشري :محمد سعيد العشماوي : 126 – 127 . الوطن العربي – بيروت ، ط3 ، 1984م.

[44] ينظر: النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب:186 دار الشروق –بيروت، 1983م.

افعالنا كامنة فيها ...))[45] ، يتبلور هذا في قول أيوب ((سأتحاشى الاقتراب من الآخرين ، وأنزوي دائمًا في أركان مهجورة مظلمة ...)) (الرواية / 10) ، ومما يؤكد النظرة الوجودية هو نسيان أهل القرية لأيوب سواء أكان ميتًا أم حيًّا((...أيوب الذي كنا قد نسيناه تمامًا ليس حيًا فقط وإنما ميتاً)) (الرواية /197)، وهذا يعزز مفهوم الانطواء والعزلة الذي يؤكد تلبس البطل لمعظم أفكارها ،هذا كلّه بِدُ وجود الآخر كما يرى هيدجر ((واقعة عابرة متغيرة عرضية ، فنحن لا نكوّن الغير وإنما نلتقي به ، فإذا كان لا بُدَّ من ضرورة وجود الغير فلتكن ضرورة عرضية عابرة ...))[46] وهذا ما يُعبّر عنه سارتر ((بالهجر (delaissement)فالانسان مهجور ومنعزل من جميع النواحي : إنه مهجور ؛لأنه ليس هناك إله – كما تقرّر فلسفة سارتر – ؛ ولأنَّه ليس هناك بالتالي ماهية الإنسان ، وهو مهجور كذلك ؛لأنَّه لا يرتبط بالعالم ولا بماضيه ولا بحاضره الجسمي . فإذا ما أتيح للإنسان أنْ يدرك انَّه مهجور ، وأنَّه بالتالي مسؤول عن كل ما يصنع ؛ لأنَّه حرٌّ في كل ما يصنع))[47] وبهذا أفصح نيتشه وهو يتكلم على تأليه الألم واصفًا الانسان بأنّه ساكن الاماكن المنعزلة والصحراء وأنَّه نبي يدعو الى رسالته الخاصة وينكرها في الوقت نفسه والتناقض مقيم في ((كيانه ؛لأنَّه دائم البحث عن آفاق جديدة وعوالم مجهولة ، وهو لا يستطيع أنْ يستقرّ في أيّ مكان ، وهو إذا كان يقبل كل شيء ؛فذلك لأنّه يفهم كل شيء .والتمرد لا يكف في قلبه عن الجيشان))[48] نسيان القرية لأيوب كانت نتيجة إصراره على ما يدور في ذهنه ، وهذه صفة ترتبط بالوجودي إلى حدٍّ بعيد ، فبطل الرواية من الذين لا يقفون للبحث عن أسباب وتعليلات لما يفعلون ((وما شرع يدبّر لي في البيت من المكائد لم تفت عن عضدي في الإصرار على لقاء نجلاء مهما كانت العواقب ، بل زادتني إندفاعًا واستماتة في حبها ...)) (الرواية / 99-100) إنها الحرية التي تمثل قمة ما يطمح إليه أيوب ، لقد تحول أيوب في سجن داخل وطنه– وهو المكان المفترض الألفة– بيد أن الامر يختلف عند البعض الذي أدرك انه غريب وقلق حتى على أرض وطنه فـــــــ (أيوب) شخصية منهكة ((تعاني من حالة خطرة من الحيرة، والقلق الوجودي، والسؤال حول المصير،

---

[45] مشكلة الحرية : زكريا ابراهيم : 218.

[46] الغير في فلسفة سارتر: فؤاد كامل : 32 . دار المعارف –مصر، مكتبة الدراسات الفلسفية .

[47] فلسفة جان بول سارتر : د. حبيب الشاروني : 140-141.

[48] المذاهب الوجودية من كير كجورد إلى جان بول سارتر: ريجيس جوليفييه: 53 – 54 .

وانشطار الذات واختـــــــلال مرتكزها وانسجامهـــــا))[49] ،((سنوات من الحرمان والألم والقهر ، عشر سنوات من الاشغال الشاقة في سجـــــــن أشبه بالقبر لذنب لم اقترفه...)) (الرواية /33) ، وكان من نتيجة كل ذلك أن تحول الوطن في نظر هذه الشخصية ((إلى فضاء نفسي معادل للسجن والقهر والانسحاق ، اضطرت معه لأن تقع فريسة بين خيارين كلاهما مرٌّ ، إذ عليها إمَّا أنْ تظل متمسكة بموطن ألفتها ومهد انتمائها ، فتعد العدة لمواجهة شراسة واقعها والقبول سلفاً بكل النتائج المحتملة لتلك المواجهة، أو أن تلجأ إلى الهجرة والاغتراب عن وطنها وسيلة للخلاص من براثن هذا الواقع))[50] .

لقد أسهم حوار أيوب مع نفسه أو مع الآخرين في تعبيره عن الواقع النفسي والشعوري داخل العمل الروائي والذي منح القارئ فرصة التعرّف القريب على الدوافع الحقيقية التي تغلف مواقف الشخصيات وتفسّر انفعالاتها الذاتية إزاء التحديات المختلفة على امتداد الرواية ، والتي ساهمت الى حدٍّ بعيد في اغناء المساحة الرواية بالحركة على المستويات الفكرية والثقافية بأسلوب تمثيلي مركَّز لا يجنح إلى التقرير أو الوعظ ، وحرص الركابي من خلال عمله هذا على أنْ تظهر مفرداتهم دالّة بارزة ، تحمل في طياتها مخزونًا ثقافيا ليعبر من خلاله عن المشاعر والأحاسيس التي تمثل مرحلة التجربة المرّة التي يعيشها المحبوب مع حبّه وتنتهي بالفشل لعائق رقابي يقيّد حرية الفرد ويقتل ارادته ((تعددت رؤيتي لنجلاء اثر ذلك. بيد ان سنة أخرى مضت دون أن تثمر كل تلك اللقاءات السرية عن فرصة واحدة تمكنني من ان أبثها بعضاً مما أعانيه أو اهمس في أذنها كلمة حب ...)) (الرواية : 98) ، أي إنَّ((وجود الإنسان يخلق نفسه من الحرية))[51]، ومن هنا فالحرية الفنية هي ما كشف عنها الروائي توفيق الركابي على لسان بطله أيوب ، وهذا يفسِّر قول سارتر بأَنَّ الوجودية لا تؤمن إلا بوجود واحد وهو الإنسان[52]، فمسألة الإيمان بوجود خالق للكون ومسيطر لم

---

[49] المرأة والسرد : محمد معتصم : 174 دار الثقافة –الدار البيضاء ، ط1، 2004.

[50] البناء الفني في الرواية العربية في العراق (2003م – 2006م): عبد الرزاق جبار سلمان : 114 ماجستير – الجامعة المستنصرية ، 2009 م.

[51] الفلسفة الوجودية: ماجد محمد حسن ، الحوار المتمدن–العدد: 802 – 2004 / 4 / 12 الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=16927.

[52] ينظر: الوجودية :7.

يكشف عنه مسار الرواية ؛لإنَّ أيوب يقف معترفاً في كثير من الأحيان قائلاً((...اصرخ لا لِيجازِ اللهُ من كان السبب على وفق مشيئته وفي الوقت الذي يختاره ولكن هذا لا يمنع عقابي...)) (الرواية /23) فالسلطة غائبة عند أيوب ؛لأنَّ السلطة المركزية غير موجودة ولطالما كرَّر من خلال عباراته هذه الفـــــكرة : ((...والمجرم الحقيقي ينعم في قصره دون عقاب ، أنتم تعرفونه كما يعرفه الله ، ومع ذلك لم تفعلوا شيئًا ، ولم يفعل الله ...))(الرواية /27) إن الإلحاد الوجودي هو عدم اعتراف بسلطة الإله، فقيمة الانسان في المفهوم الوجودي تُكتسب من قيمة نفسه فهو ((قلعة في نفسه ، وله أن يتصرف وكأنّهُ هو الموجود الوحيد والشيء الماثل امامه ، بلا أي شيء كان قبله ... لا خالق ولا شريعة ولا قانون))[53] ،ولنتذكر واحدة من مقولات سارتر في هذا المجال:

((إنَّ كل ما تريد الوجودية إظهاره هو حتى ولو كان الله موجودًا لما تغيّر شيء ، ولما استطاع وجوده إحداث أي تبديل ، المشكلة ليست مشكلة وجود الله أو عدمه ، المشكلة هي أن يجد الإنسان نفسه الضائعة ، يجب أن يقتنع بأنَّ أيَّة قوة لا تستطيع أن تخلّصه من نفسه ... فالوجودية هي فلسفة تفاؤل ، هي مذهب العمل والحركة ، ولكن المسيحيين حين يخلطون رياءً وبدافع إيمان فاسد ، بين يأسهم ويأسنا يتهموننا بأنّنا يائسون))[54]. وعلى لسان " جوتز " بطل مسرحية " الشيطان والله " يقول : ((كنت أسأل نفسي في كل دقيقة ما يمكن أن أكونه في نظر الله . والآن أعرف الإجابة , لا شيء , إنَّ الله لا يراني , إنّ الله لا يسمعني . إنَّ الله لا يعرفني ... السكوت هو الله , الغياب هو الله , الله هو عزلة الناس , إن كان الله موجودًا فالإنسان عدم ؛ إن كان الإنسان موجودًا ... يا هنريك ، فإنّي سأعرفك بفراهة ضخمة : إنَّ الله غير موجود))[55] ، وهذا

---

[53] مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات :محمد جواد مغنية : 147. دار مكتبة الهلال –بيروت ، دار الجواد – بيروت ، د.ت.

[54] ريلكه – تعريب الدكتور ممدوح حقي . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر – دمشق ، 1962. نقلا عن الكوميديا الوجودية: فضح المحظور الثقافي/تحليل رواية "بابا سارتر" : حسين سرمك حسن مجلة الروائي تعنى بشؤون الرواية 824http://www.alrowaee.com/article.php?id=

[55] سارتر بقلمه – فرنسيس جانسون . ترجمة الدكتور خليل صابات – مراجعة الدكتور ريمون فرنسيس – منشورات نزار قباني – بيروت – 1967 . نقلا عن الكوميديا الوجودية: فضح المحظور الثقافي/تحليل رواية "بابا سارتر" : حسين سرمك حسن مجلة الروائي تعنى بشؤون الرواية 824http://www.alrowaee.com/article.php?id= .

يذكرنا بما قلناه سابقا بالعبثية عند سارتر وعدم الاعتراف بالخالق جلَّ جلاله (الله) ((عندما يتحدَّى الانسان انسانًا مثله ، فهو الآخر انسان ، فإذا تحدى إله ، فهو اكثر من إنسان ، إنَّه بطل ... بطل ؛ لأنَّه استطاع أنْ يعلو على نفسه وعلى الآخرين ...))[56] وهذا يذكرنا بما نقله جان جينيه عن سارتـــــــــــر أنه ((... قبل أيام زرتهما ، هو وسيمون دي بوفوار . حدثتني سيمون أنَّ سارتر شرب سبع عشرة كأسًا من الويسكي ، وأنه أعلن في نهاية السهرة " أنَّه الله " . أتدري ماذا كان تعقيب سارتر ؟ قال لي : " فعلًا لقد اعتقدت أني الله ، وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يسيطر عليّ مثل هذا الإعتقاد ...))[57] ، ويبيّن –الاستاذ صبحي من خلال تناوله لراوية (الطاعون) لألبير كامو – ((أنَّ الانسان برغم خضوعه للظروف غير الملائمة التي تعصف بوجوده ... بالرغم من ذلك الخضوع ... فهو ربُّ أفعاله ، وهو السيد المتحكم في تصميماته ...))[58] ،لقد حرص سارتر في كتاب (الوجود والعدم) على أنْ ((يثبت للانسان حريته وأَنْ يجعل منه خالقا ومشرعا لأفعاله ، فالوجود يسبق الماهية بمعنى أنَّ الانسان يوجد اولًا ثم يعرف ماهيته بعد ذلك ، فماهيته من خلقه ولا وجود لما يسمَّى بالطبيعية الإنسانية la nature humaine حتى وإنْ أدَّى ذلك الى ذاتية الإنسان هو مشروع يعيش لذاته l homme est un project qui se vit subjectivement وماهية الانسان تتحدد بما شرعه لنفسه . ومعنى هذا أنّ الإنسان لا يحقق وجوده إلا عن طريق عملية الخروج من الذات ، وكأنَّما هو يقذف بنفسه نحو المستقبل. وليس في استطاعة الإنسان أن يضطلع بهذه العملية ، إلّا إذا عمد الى تحقيق وجوده في عالم المادة))[59] .

---

[56] من الوجودية الى العبث مسرحيتان وروايتان (لا مفر) : جان بول سارتر : 5 . تر: جلال العشري ، مراجعة : د. امين العيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

[57] ولدت في الطريق وسأموت في الطريق : جان جينيه:29 حوار: سعدالله ونوس. مجلة " الكرمل ، العدد الخامس ، شتاء 1982 .

[58] مشكلة الحرية في رواية الطاعون : سيد صبحي: 74. الآداب مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر لصاحبها د.سهيل إدريس ،ع 3(آذار – مارس 1963م / السنة 11).

[59] البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سار تر منها : د. عبد الوهاب جعفر: 161-162. دار المعارف –،مصر، 1980م، وينظر : دراسات في الفلسفة المعاصرة :د. زكريا ابراهيم :529. مكتبة مصر – مصر ، ط1 ، 1986م.

يثير الوجوديون مسألة (الجنس) تلك التي شغلت أيوب في معظم ما كان يفكر بنجلاء ، ((وحررت الزر الثاني وانحنت بتعمد نحو الأرض، فاندلق نهدان كعنقودين من أجمل ما خلق الله، ثم استقامت قائلة : ولهذا تراني لا أرتدي مشدات الصدر. دمدمت وقد استحال تنفسي لهاثاً متصاعـــــداً...))(الرواية /65) وتمثلت بتصوير دقيق ((.. وحررت بقية الأزرار ، وانتصبت بشموخ ، كان سطو الرغبة قد ارتفع في رأسي لدرجة بدأ معها وقوفي أمامها كما تريد محالاً. فاستدرت بوجهي صوب الباب أتلقف الهواء وأنا أكاد اختنـــــــــــق))(الرواية /65) ، وهذا ما نجد له مبرراً عندما يطلعنا د.كمال زكي على أفضال الوجوديين على الرواية بقولهِ ((وربما كان من بعض أفضال الوجوديين على الراوية انهم قد حاولوا دائماً أن يقيموا ضرباً من ((التوازن)) بين تصوير المناظر وتسجيل الأحاسيس ، بين عرض الأحداث وتحليل العواطف ...))[60] هذا التوازن يكون اكثر وضوحاً في تصوير تلك الليلة التي ارتميا فيها أيوب ونجلاء معاً وليمسح بذلك معاناة عشرة سنين كما يصفها أيوب (الرواية /170) ، وكذلك ما نجده من توازن بين لقطات موضوعية وملاحظات ذاتية ((... وهناك فوق سريرها ، ظلّت نجلاء اكثر من ذي قبل ، تذيقني الموت والحياة معًا ، وترجفني ألمًا ولذة ، فأحبس أنفاسي ، وتتملكني الرعشة ، وتغدو عيناي كجمرتين تكادان تنطان في محجريها ، وهي لا تنال بحبي...)) (الرواية /73) ، وفي مسرحية (المومس الفاضلة) لسارتر نخلص في النهاية إلى ((أَنَّ ليزي مقيدة بفكرة العطاء الجسدي بحكم وظيفتها في مقابل حرية الاستمتاع واللذة الحسية المتبادلة مع الآخر وهي تلزم نفسها بتلك المهنة وتقيد نفسها بها في الوقت نفسه تتحرر جسديا عن طريق الاستمتاع الجنسي . وفريد يلتزم بمعاملتها على أنَّها مجرّد جسد أنثوي لساقطة ؛ بينما يرى حريته بالاستمتـــاع بمعاشرتها))[61]، وهذا الابتذال الجنسي هو من المآخذ على الروايات الوجودية فالبعض قد يأخـــــــذ على ((جماعة الروائيين الوجوديين أنَّهم وإنْ كانوا قد أضفوا على الرواية عمقًا فلسفيًا ونقلًا فكريًا إلا أنَّهم قد انحدروا في كثير الأحيان الى مستوى السعاف الخلقي والتبذل الجنسي : فهذا (ماتيو) (مثلا)أحد أبطال رواية (دروب الحرية) يغرِّر بصديقته (مارسل)، ويتخلَّى عنها ثم يسرق مالًا من عشقية

---

[60] الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب: د.زكريا إبراهيم:37.

[61] الفاعل الفلسفي في المسرح الوجودي – المومس الفاضلة نموذجا – : أبو الحسن سلام . مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي =http://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid316178 .

تلميذه ، لكن يعمل على إجهاضها، وهذه (آن) زوجة (دويروي) في رواية (المثقفين) تخون زوجها مع أول رجل أجنبي تلتقي بها فتذهب مع الروسي (سكرياسين) إلى غرفته ، ثم تنقل لنا تفاصيل دقيقة لتلك الليلة الفاشلة التي قضتها معه : ولا تلبث هذه المرأة أن تلتقي بالأمريكي (ليوس بروغان) فتقضي معه فترة حب طويلة تدوم ثلاث سنوات ، تعود بعدها الى زوجها محطمة كسيرة النفس فتعتزم الانتحار، أما (نادين) إبنة (آن) ؛ لأنَّ آن (دي بوفوار) تصوَّرها لنا بصورة الفتاة الهيسترية ...))[62] وليس غريبًا أنْ تنطوي روايات سارتر على كثير من المواقف الجنسية فكتابه (الوجود والعدم) افرد به بحثًا واسعًا لدراسة الدلالة الإنسانية للجنس وبيان معنى الحب وتعميق الرابطة الجنسية ثم أنَّ سيمون دي بوفوار في كتابها (الجنس الثاني) هي الأخرى أعطت دراسة معمقة لدور المرأة في الحرية الجنسية والعقبات التي تقف دون تحقيق ذلك،[63]ولعلَّ نقل تفاصيل الليلة التي جمعت بين أيوب ونجلاء ما يبرر في تمثيل البطل (أيوب ،[22])ومن ثم وقوف القرية أمام أهدافهما الجنسية سمحت بربط فكرة الرواية بالوجود تلك الرغبة العارمة التي تذكرنا بكتب سارتر القديمة ((مجموعة من الاقاصيص المسماة "الجدار" وهي أنموذج للكآبة والامتلاء بالاشمئزاز . فالأقصوصة الاولى فيها "صميمية" تتناول امرأة ضعيفة الشهوة ذات ميول سحاقية تزوجت رجلًا عاجزًا جنسيًا ؛ لأنَّه لا يطلب منها شيئًا جسديًا وتتركه مُدّة قصيرة لتصحب أحد عشاقها ؛ ولكنَّها تعود إلى زوجها . ويبذل سارتر جهده ليركز كل أنواع التفاصيل التي تثير الاشمئزاز عن العلاقة الجنسية ، محاولًا أن يعرقل ميل الذهن إلى فرض معنى جنسي على تلك التفاصيل ؛ ولهذا لأنَّ هذه الأقصوصة هي ضد فكرة الأدب الخليع وهي تستخدم أسلوب "الغثيان" جاعلة التفاصيل المادية القاسية قسوة تجرّدها في النهاية من المعنى ... وهنالك قصة أخرى تتناول رجلًا لديه رغبة سادية في إذلال البغايا ، وقصة أخرى تتحدث عن امرأة تختار العيش في عالم زوجها المجنون المصاب بأوهام العظمة))[64] ، وهكذا المرأة عند سارتر من النادر ان يتضح دورها الايجابي ، ونستطيع أنْ نقول ((إنَّ النِّساء في مؤلفات سارتر قلَّما يمثلن دور الشخصيات الطيبة ، فهذه كليت منستر المومس التي لا تفهم شيئا من هموم اجيست و الكتر التي تترك اوريست بعد أنْ اغرته بقتل أمِّهما ، واستيل

---

[62] الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب: د.زكريا إبراهيم: 37.

[63] ينظر : المصدر نفسه:37.

[64]المعقول واللامعقول : كولن ولسون: 89 – 90 . ترجمة أنيس زكي حسن ، دار الآداب – بيروت ، ط4 ، 1978 .

وايتيس اللتان تمنعان جارسان من مواجهة الحياة وجسيكا الطائشة التي تفسد كل شيء بارثمائها في احضان هدرر))[65].

إنَّ سارتر يصوّر لنا الموجود البشري بصورة الكائن الزماني الذي هو باستمرار على مسافة من ذاته ، فهو يعدو خلفها باستمرار ، خَلْفَ لذّاتِه وشهواته الجنسية / وجوده دون أنْ يتمكن يوما من اللحاق بها ، وهكذا فالانسان يجري دائما وراء ذاته دون أن يكون في وسعه يومًا أنْ يلحق بها. [66] ، فالانسان ((هو الموجود الذي بفعله ينفذ العدم الى الوجود ، وهو ليس حرًّا إلا لأَنَّ وجوده ناقص يتخلله العدم من كل جانب))[67]، ومن الجدير بالذكر أنَّ مطامع أيوب الجنسية لم تقتصر عليه دون أنْ نجدَ ما يقابلها عند نجلاء ((أردتني زوجة لك ، وها أنا لك اليوم بلا قيود...))(الرواية 169) وهو ما يذكرنا بسعيدة القابسي في رواية (باب الحيرة) للروائي يحي القيسي فتراها ((حادة الطبع، مزاجية، ساخرة، نارية، بريّة، مشاغبة، استفزازية. وهي متعددة في منظور الراوي يحار في تصنيفها بين المناضلة المسترجلة، والأنثى الشهوانية، والمثقفة الأممية، والعروبية، لكنهاعلى كل ذلك شكّلت له ضوءًا يخفّف من شعوره بالغربة والاغتراب، ومتاعًا للذة أحيانا يخفف من فورات جسده واعتمالاته الجنسية، على أنَّ المفارق أنَّ سعيدة المتمرِّدة، النزقة، الجامحة هي نفسها الوادعة التي تسلمه جسدها فيصعدان معًا الى مقامات اللذة))[68].

مما سبق أستطيع القول إنّ (أيوب) بشكِّه وقلقه وطفو عامل التشاؤم يكون قد اقترب من الفكر الوجودي إنْ لم نقل إنَّه حمل أساسًا هذا الفكر من خلال أفعاله وأحداث حياته ،((ما الذي تسعى إليه من وراء طقوسها الغريبة تلك؟ سؤال طالما راودتني من غير أنْ أصل إلى جواب مقنع ، هل كانت تعاني من عقدة بفعل عقدة

---

[65] سار تر بقلمه :208 . نقلا عن الوجودية في الفكر الفلسفي المعاصر ، مؤسسة الحوار المتمدن–العدد: 1956 – 2007 / 6 / 24 **2**10068 .http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=

[66] مشكلة الحرية : زكريا ابراهيم : 212

[67] ينظر : cf.R.Campbell:"L'Existenteialisme on France depuis in Liberation ",artieie dads <L'Activite Philosophique en France et aux Etats Unis ,P.U.F.1950 vol .11.P.152> نقلا عن مشكلة الحرية : 213 .

[68] باب الحيرة: يحيى القيسي ... رواية ينتهب القلق الوجودي بطلها الراوي : ينظر الموقع : http://www.alzawraa.net/home/index.php?option=com_content&task=view&id=7765&Itemid=232

زواجها القاتل قبل عامين وطلاقها في غضون شهر واحد ؟ أكانت سادية فتلتذ بما ترآه يرتسم على وجهي من عذب وألم وشهوة ، أم أنها كانت تحاول عن هذا الطريق إحكام سيطرتها علي إخضاعي لميشئتيها ؟ لا أدري...)) (الرواية /66) هذه الحيرة تتنامى وتترك القارئ في حيرة وكجزء من ايدلوجية الرواية المليئة بالتناقضات والاسئلة التي نبحث عن اجابات لها ((تعددت رؤيتي لنجلاء اثر ذلك. بيدأنَّ سنة أخرى مضت دون أن تثمر كل تلك اللقاءات السرية عن فرصة واحدة تمكنني من ان أبثها بعضاً مما أعانيه أو أهمس في أذنها كلمة حب ...)) (الرواية : 98) ، فالذات المتشخصة تبني طقوسها وهواجس تخليتها فـ((الموقف الوجودي أي حين يصوب تفكيره تجاه ذاته المتشخصة الوحيدة المحاقة بالقلق والاغتراب والتناهي والعدم والمثقلة بعبء الحرية الرهيب))[69] .

إنَّها التساؤلات التي تَصنع ذات الفرد ، ولكن بلا تفكير في آليات تلك الصناعة ومدى تقبل أو رفض النتيجة ، يقول سارتر ((يجب علينا أنْ نتخلى عن إرادة فلاسفة الواجب، التي لا همَّ لهم سوى أنْ تفرض على عقولنا ومشاعرنا نظامًا مصطنعًا، وقهرًا متعسفًا، وينبغي أنْ نترك الأَنَا بأكملها لمنطقها الخاص وهذا معناه ألَّا يصير مجال لأنْ أقول "أَنا" أو "أَنا أفكر" بل أنْ أقول "ثمة شيء يفكّر فيه" و "كلّما ازداد تفكيري قلَّ وجودي" على حدِّ تعبير إحدى شخصيات رواية "إيقاف التنفيد". ونتيجة هذا الانسلاخ من الشخصية هي أن نستعبد من الفكر كل ما هو ذو وزن أو تركيب اجتماعي، أوكل خضوع للأوامر الأجنبية عن الذات، وكل ما يصدر عن تأثير عائلي أو مهني، أو الأشكال المتحجرة للتقاليد. وبهذا يختفي الستار الذي يحجب عنا العدم، والذي يحمينا من الغثيان))[70]،وهذه الصورة من الحيرة والقلق أعادت لذاكرتي النبرة التي أطلت إلى (ألبير كامو) في روايته الطاعون ((اثنان واثنان تساوي أربعة أم لا؟ فمواطنونا الذين جاءوا في هذا الوقت بحياتهم كان عليهم أن يقرروا ما إذا كانوا في وقت الطاعون ام لا؟ وما إذا من الواجب عليهم أن يكافحوه أم لا ...))[71]

---

[69] الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليس :د. يمنى طريف الخولي : 31.

[70] ريجيس جوليفييه "المذاهب الوجودية من كير كجورد إلى جان بول سارتر: 129.

[71] مشكلة الحرية في رواية الطاعون : سيد صبحي: 74.

القسم الثاني: قراءة في الزمن الوجودي وزمن الرواية

للزمن دور فعال في الإنسان،والإحساس به ضرورة تفرضها حركيته المستمرة، ومن ثمَّ كان الزمن مرتبطًا بالإنسان الذي يتحسسه عبر مراحله الحياتية، ويسعى إلى الكشف عن ماهياته من خلال تساؤلاته التي تندرج ضمن فلسفته الحياتية المشروعة بحتمية الطبيعة الوجودية التي تلزم الإنسان بالإحساس بفاعليته،أي بمعاينة حسية لظواهره وتقلباته المضية إلى تأكيد تعدد تجلياته . فلا ((وجود الا مع الزمان وبالزمان ، وأن كل ما ليس بمتزمن بالزمان فلا يمكن ان يعد وجودًا ، وتلك هي ما نسميه بتاريخية الوجود))[72] ،ويكاد يتفق المهتمون بالرواية أنَّ الزمن في الرواية كالرقم المتسلسل للكتاب، يرتب الأحداث كما يرتب الرقم الأوراق، ولو فرضنا أننا جرَّدنا الرواية من الزمن فماذا يحدث؟ إنَّ الزمن في بعض الروايات طويل قد يستغرق عشرين عامًا أو أكثر كرواية بين القصرين لنجيب محفوظ، فإنْ حذفنا الزمن منها، لا تستطيع الحبكة وحدها ربط الأحداث، فهناك فرق بين تزامن الأحداث وتعاقبها، كما أن تعاقبها نفسه قد يأتي مباشرة وقد يكون بعد فاصل زمني يطول أو يقصر، إلى جانب تحديد مدة الحدث. فالزمن إذًا ليس اختياريًا في الرواية، ولكنَّه ضرورة قصوى، وقد يستطيع الكاتب أن يعيد ترتيب الزمان، فيبدأ بالحاضر ثم ينتقل إلى الماضي في استعادة للذكريات، أو يمزج الحاضر بالمستقبل، ولكنه مزج واعٍ فيه استعمال للزمان على رغم من تداخل الأزمنة، وهو ما حدث في رواية أيوب كجزء من استراتيجية ايدلوجية تنطلق بوعي من الكاتب ، فالزمن مرتبط دائما بالوجود، ونظرا للعلاقة المتبادلة بينهما، فإنّنا لا نفكر في أحدهما دون الآخر، فضلًا عن أن وجودنا في حدِّ ذاته يرتبط ويتحدد بالزمان ، الأمر الذي جعل للزمان مغزًى فلسفيًا وجوديًا يرتبط بحياة الإنسان في الوجود، ولكن الوجود الذي يخضع لمقاييس واختبارات الفرد نفسه وليس المجتمع او الطبيعة وهو محور الفكر الوجودي في كل ما طرح من أيدولوجيات ((وجمع الذات ككل في فعل مركز للإرادة يعني في الحقيقة وعلى نحو أصيل ، أن يصبح المرء ذاته ، وأن يتحرر من تشتت الذات وانحلالها في اهتمامات تافهة وسط الجماهير))[73]، وهذا يفسّر قول سارتر يقول((أنت حرٌّ، إذن فاختر، أعني اخترع وابتكر ، فليس هناك قاعدة

---

[72] الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي : 216.

[73] الوجوديّة : جون ماكوري : 283.

أخلاقية يمكن أنْ تبيّن لك ما الذي ينبغي عليك أن تفعله ، وليس ثمة علامات تهديك سواء السبيل في هذا العالم))[74]، وقد حدا ذلك بمعظم كتاب الرواية الحديثة إلى أن يَضْفُوا على الزمان "في رواياتهم بعدًا فلسفيًا وصوفيًا ونفسيًا واجتماعيًا ، فالزمن عندهم جزء من فلسفة الذات الحياتية ،فالزّمن الرّوائيّ في روايـــــة أيوب ليس زمناً موضوعيّاً بل هو زمن نفسيّ ترك أثره على أيوب ، فأحداثه الماضية الأليمة المتناثرة جزء كبير من آيدلوجية البطل وهو الشريد المعتقل الضائع في مختلف الازمان الماضي والحاضر والمستقبل .

يمكن القول إنَّهُ يُفهم من نَصِّ (الركابي) أنَّ وراء محاولاته لإضاعة خيط التسلسل في الأحداث هدفًا يسعى الكاتب أن يقوله تساوقاً مع إضاعتنا وجهلنا لكثير من الأحداث التي ما زلنا نجهلها إلى لحظة كتابة هذه الدراسة ، ولعلَّ من معالم هذه الضبابية والغموض هو تجاهل المؤلف لطبيعة المكان ابتداءً من وصفه بدقة واعطاء صور واضحة للقرية التي اختفت كثير من معالمها وصولًا إلى عدم إكتراث السارد بإعطاء الوصف المكاني لـ (قصر السيد ، مسرح جريمة قتل (عذاب صبر) ، مكان القرية ...) فوصف المكان يعدُّ أمراً ضروريًا لقارئ الرواية – في غير الرواية الوجودية – كونه يؤثر على شخصية البطل كما أن البطل يترك أثره على المكان ((لعل بداية الاهتمام بـ(المكان) يتجلّى في (وصف المكان) بعدِّهِ لا يمثل خلفية الأحداث فحسب, بل والإطار الذي يحتويها. و(المكان) هو عنصر فاعل في الشخصية الروائية, يأخذ منها ويعطيها, فالشخصية التي تعيش في الجبل يطبعها الجبل بطابعه. فيظهر أثره في طباع السكان وسلوكهم, والشخصية التي تعيش في المدن تطبعها المدن بطابعها, ويتجلّى أثر ذلك في سلوكها أيضاً. ، وكما يؤثر (المكان) في السكان, فإنّ (السكان) أيضاً يؤثّرون في المكان بعلاقة جدلية, وهذا ما رأيناه في (أم العيون) التي كانت أرضًا قاحلة مهملة, فلما استصلحتها العائلات النازحة أعطت خصباً وخيراً))[75]، فالروائي يَخلق الصورة المكانية في الرواية من خلال مزاوجته لملامح المكان ((بحركة الإنسان وملتحمًا بها ؛ لتجسيد أقصى قدر من الخسارات " المكانية " التي لم يكن الروائي – بالتأكيد – يسعى إلى خلق متعة آيديولوجية أو سردية مجردة بقدر ما كان

---

[74] المصدر نفسه: 283.

[75] شعرية الخطاب السردي – دراسة–: محمد عزام:68 . منشورات اتحاد الكتاب العرب– دمشق ،2005م.

معنيا بتفجير إمكانات الذاكرة المختزنة لتحقيق أقصى تأثير في نفس المتلقي العراقي خصوصًا))[76] من هنا لا يساعد وصف المكان وحده على خلق الفضاء الروائي ولا بُدَّ من اختراق الإنسان للمكان والتفاعل معه، والعيش فيه، وتقديمه من خلال زاوية محدودة تخدم الإطار العام للرواية– خارج الاتجاه الوجودي – بحيث يتحول المكان نفسه إلى عنصر فاعل ، كان من الضروري إذنْ إبعاد الوصف المكاني للابطال والأحداث في الرواية – ولو في هذه الرواية على أقل تقدير – ؛لأنَّها لا تخدم فكرة الرواية من وجهة نظرنا وهي (الوجود)، او بمعنى آخر ؛ لأنَّ المكان لا يجيب عن تساؤلات البطل ، ومن هنا يكاد تختفي ملامح الفضاء المكاني سوى العبارات المتناثرة التي توزعت على مسافات متقطعة من الرواية ، في حين نرى انّ العامل الزمني هو محور الجدل في الوجود وخلق جدلية في التلاعبات والقفزات الزمنية التي يصعب خلقها في مثل هكذا روايات ، من هنا قارئ رواية (أيوب) لأول وهلة يتبادر الى ذهنه تساؤلات من مثل : ماهي المدة التي استغرقها أيوب بين السجنين ؟ في أيَّ وقتٍ عرف (أيوب) أنَّ السيد هو الذي تآمر عليه وكيف؟ أين والدة نجلاء؟ وغيرها من التساؤلات التي تترك قارئ الرواية في عدم ربط صورة متكاملة للرواية ،ألأمر الذي أظنُّ وراءه قصدًا من الكاتب والذي يخدم مسار الرواية وفكرة الوجود التي تتضح ملامحها من خلال اقوال وأفعال البطل والمتجسدة من خلال الرواية في تغير المسار الزمني لأحداث الرواية والذي يخدم الغرض نفسه ، وبالتالي يُشوِّشُ على القارئ ترتيب زمن الأحداث ، فالزمن على حد رأي (بول ريكور) يتمُّ توظيفه للقضاء على سير منطقي لأحداث السرد فـ((الصِّراع ضد التمثيل الطولي للزمان لا يستدعي بالضرورة أنْ يكون من نتائجه الوحيدة تحويل السرد إلى (منطق) بل قد يُعمق زمنه ،إنَّ التسلسل الزمني أو تسجيل الوقت لا يملك إلا معاكسًا واحدا فقط الا وهو لا تسلسل زمن القوانين أو النماذج ، إنَّ المعاكس الحقيقي هو الزمن نفسه ...)).[77]وهذا ما يطلق عليه في البناء السردي ((النسق الزمني المتقطع، حيث تتقطع فيه الأزمنة في سيرها

---

[76] ينظر : الكوميديا الوجودية: فضح المحظور الثقافي/تحليل رواية "بابا سارتر" : حسين سرمك حسن . موقع مجلة الروائي الالكترونية http://www.alrowaee.com/article.php?id=824 .

[77] باختين والزمان السردي الحديث : بيتي تيرتن :36 ترجمة : د. محمد درويش ،مج الأقلام ع6،1999م.

الهابط من الحاضر إلى الماضي، أو الصاعد من الحاضر إلى المستقبل، فيبدأ الراوي باستعمال الزمن الهابط ثم لا يلبث أن يقطع الزمن الآنف الذكر، ليبدأ قصة جديدة))[78].

فالقارئ لرواية أيوب ينشغل في ربط تسلسل الأحداث ؛ لإضاعة التسلسل الزمني في الرواية ولكن القراءة المتأنية تعيد للقارئ هذا التسلسل ولا يعدُّ منطقيًا البحث عن صعوبة عند القارئ وهو يمسك بترتيب الأحداث ، ولكن بطبيعة الأمر يختلف مع الروايات الأكثر تعقيدًا في تسلسلها الزمني ، وقد ((أعَّدَ نقاد (فوكز) إلى الأهمية الآنية في رواية (الصخب والعنف) منذ أنْ طرح (جان بول سارتر) في مقالة كتبه سنة 1939م السؤال التالي (ما الذي دفع (فوكنر) إلى تحطيم الزمان في روايته ليرتب جزئياتهـــا ترتيبًا مشوشًا))[79] إنَّه ((يقوم ويكسر عقربي الساعة ، ولكنها تستمر في التكتكة : تحصي الزمن ولا تشير اليه ، في آن واحد .ويضعها في جيبه .وهذا المقطع ، من أوَّله الى نهايته يتحرك تحت ظل الساعة . فبينما كان الزمن في مقطع يتاكد من لفظة بنجي موجودا كلّه آنيًا لا يترتب فيه ، هنا يسمع كونتن دقات ساعات المدينة ربعًا ربعًا، وتظل ساعته المكسورة العقربين تدقدق في جيبه – وقد بطل كل ما فيها من معنى))[80] ،من هنا كان الزمن مشوشًا وضبابيًا وكان بحاجة الى مخطط ملحق لفهم النسق الزمني الذي سارت فيه أحداث الرواية .

إنّ الزمن المطلوب عند الوجوديين هو الزمن الكلي ،وصرَّح بذلك سارتر قائلًا :

((نلاحظ أوّلا أنَّ الزمانية لا تنشأ عن جمع addition ما نسميه ((عناصر الزمان)) : الماضي والحاضروالمستقبل . فالماضي لم يعد بعد ،و المستقبل لم يأْت ، والحاضر في لحظة (الآن) لا يوجد إلا باعتباره حداً مثاليًا خالصًا : وجمع هذه العناصر الثلاثة بعضها الى بعض ، معناه القضاء على السلسة وعلى الزمان .وإذن ينبغي أنْ ننظر الى الزمانية باعتبارها تركيبًا اصليًا أو (كلًّا) يعطي للتركيبات الثانوية المنطوية فيه وجودها ومعناها. وهذا يقضي أنَّ كلَّ دراسة التركيبات الثانوية ينبغي أنْ تتم على أساس الكلية

---

[78] شعرية الخطاب السردي : محمد عزام:105 .

[79] باختين والزمان السردي الحديث 39–40.

[80] الصخب والعنف : وليم فوكز : 15 جمعها وقدمها جبرا ابراهيم جبرا ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط 3 ، 1983 م.

الزمانية totalite temporelle والأمر هو دائمًا استجابة الحدس للزمانية والإجمالية ، أعني الوصول الى "انطولوجيا للزمان "))[81] ومن هنا كثيرا من يدرك القارئ لرواية ايوب إختفاء التسلسل الزمني ، وكان الزمن هو الزمن الكلي الذي تنصهر فيه الاحداث بين الماضي والحاضر والمستقبل ، إنَّ العلاقة بين السرد والزمن وظّفها الكاتب في روايته خدمة لعامل الوجود، والتي تخدم المضمون الفكري للرواية ،وبالتالي تجسيد ملامح الوجودية فيها ؛ولذلك يتحدَّث (ريكور) عن العلاقة بين السرد والزمان والتجربة الإنسانيـــة ((...أنني أفهم الزمان بوصفه بنية الوجود الذي يصل اللغة في السردية ،والسردية بوصفها بنية اللغة التي يكون الزمان فيها إشاراتها النهائية ، وبهذا فإنَّ علاقتها تبادلية ...))[82] .

يمكن القول في نهاية المطاف مع كل ما مضى إنَّ الرّكابي لم يكن موفقًا الى حدٍّ بعيد في أقل تقدير في تمويه الاختفاء الزمني وخلق اللحظة الكلية للزمن سواءً أتفقنا أنَّ هذا ما ينسجم مع تُجاه الرواية الايدلوجي أم قد نختلف في تحديد مسارها الفكري ، ولعلَّ قارئًا لرواية ايوب ولأكثر من مرة يدرك التلاعب بالمسار الزمني ولا سيّما أنَّ للقارئ القدرة على مسك خيوط هذا التلاعب بمجرد العودة في القراءة للرواية في أكثر من مرة ، وهو أمرٌ يتَّضح على سبيل المثال بالمقارنة في التلاعب الزمني في الروايات الغربية ، فالكاتب فوكنز في روايتـــه (الصخب والعنف) نشر ملحقًا مع الرواية الأصلية ولمدة أربعين عامًا ، هذا الملحق يمثل إطارًا استعاريًا لأولئك الذين لا يعرفون كيف يقرءون نَصَّ (فوكنز) غير المتجانس والذي لايتقيَّد بالتسلســـل الزمني[83] ، فعلى سبيل المثال لا الحصر وتحديدًا في الفصل الأول يصور الرّكابي لنا (أيوب) في فترة خروجه من المنفى والتي استمرت أربعة أيام ، تلك الجزيرة التي نُفي عليها ، وهذا يقودنا إلى أنَّ المؤلف لا بُدَّ له أنْ يعود لإحداث يفسّر من خلالها سبب إيداعه بهذا المنفى ، وهذا ما حصل فعلًا في الفصل السادس عشر ، أما الفصل الثاني فقد حشد الروائي الأحداث بشكل لا مبرِّر له وإنْ كان يبدو عفويًا بدءًا من اعتقاله للمرة الثانية وخطبته لنجلاء وانتحار الأخيرة وعدم ممارسة (أيوب) للعمل السياسي بعد خروجه من الجامعة فضلًا عن إلى الانقلاب المفاجئ لتصرفات أيوب ونجلاء في القصر وسبب عودته فرحاً من القصر ... وهلمَّ

---

[81] المذاهب الوجودية من كيركجورد الى جان بول سارتر : 148 .

[82] باختين والزمان السردي الحديث :36 .

[83] ينظر: المصدر نفسه: 40-41.

جرى من الأحداث المتوالية .. . (الرواية / 12–17). والحاصل أن الروائي قد أورد جملة من مصطلحات الزمن الفيزيقي أو ما يومئ إليه ضمنيًا فتأتى له التكثيف المُفضي إلى إحداث إثارات بصرية تُستكشف بمجرد معاينة مواقعه الرسمية في الخطاب الروائي، وهو يتكاثف بإحكام وتنوع إلى جانب الكثافة المكانية كما يثبت ذلك سياق هذا المجتزأ، وأمره يرجع إلى قدرة المبدع على تكثيف مصطلحات الزمن لدلالة مواطن الحركات في المكان التي يقوم بها أشخاص الرواية أو هي مسرودة لأحداث الماضي، ويستدل عليه بمساوقة الفعل للزمن وهذا ما نجده في رواية أيوب.

إنَّ استهتار البطل بقيمة المرأة ((أردتني زوجة وها انك لك اليوم بلا قيود ...)) (الرواية /169) يذكرنا بـ ((تناول بيكاسو المرأة في لوحاته كلعبة جمّلت حياته , وهي لم تلعب في حياته الواقعية اكثر من هذا الدور. يقول بيكاسو : " إنَّ المرأة إما أنْ تكون ملاكًا , أو أن تكون ممسحة " . هذه العبارة هي التعبير الأمثل عن استهتاره , حيث مثلت النسوة في حياته الحالتين معًا , وتعامل مع نساء حياته الكثيرات من هذا المنطلق . لقد استبدل بيكاسو النساء كما تُستبدل القمصان))[84] .هذه الصورة تعطي قيمة المرأة في الفكر الوجودي فعلاقة المرأة والرجل علاقة شهوانية حيوانية من نظر الوجوديين ،وهو ما حصل بين أيوب ونجلاء ليلة مجيئه للقصر ؛ لغرض الانتقام من أبيها ((لقد قدمت ونصب عيني هدفٌ محدد لن أحيد عنهُ العقاب الذي يستحقه ...)) (الرواية /26)، ولكن الذي حدث كان على العكس من ذلك كاتصال أيوب بنجلاء وقضائِه معها تلك الليلة .

مع كل هذا يمكن القول إنَّ الرواية حملت دورًا تربويًا مهمًا في عقاب كل (ظالم) ، فالأول (والد نجلاء) والذي أصيب بمرض الجذام نتيجة سبب مجهول، ولعلَّ اتصاله اللاشرعي مع المرأة التي التقى بها في الجزيرة كما تروي لنا نجلاء ((لعنة الغرب والأجساد البيضاء ، فمن إحدى الجزر الأوربية الزاخرة باللذة كما يبدو انتقل إليه المـــرض...)) (الرواية / 166) ثم انتقال المرض الى نجلاء عن طريق اتصال غير شرعي مع أيوب ثم مرض بطل الرواية (أيوب) ، كل هذا يعطي للمتلقي صورة العقاب الالهي الذي جاء طبيعاً نتجية شذوذ هؤلاء عن الطريق الصحيح ، ومن هذا الرمز ينتقل المفهوم التأويلي للأجسام البيضاء ، فهي

---

[84] ينظر : حياتي مع بيكاسو: فرانسسواز جيلو . نقلاً عن :المرأة ومشاكلها الوجودية لدى التشكيليات العراقيات : منير العبيدي ينظر الموقع : صحيفة الحوار المتمدن http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=33165

دلالات الدمار والخراب للفرد الوجودي كقوة قاهرة إضافة الى قوة استعمارية تتجسد بـ((صورة امرأة، النظام الاستعماري الشره لالتهام خيرات الشعوب واستغلالها ابشع استغلال لمصالحه الخاصة))(الرواية : 126 – 127) .

إذن فماذا أراد الركابي أن يقول ؟ وهل وفّق في قوله ؟ هنا لابُدَّ أنْ نشير الى أنَّ بطل الرواية (أيوب) حاول أنْ يبحث عن حقيقة نفسه وهو ذاك البطل البسيط الذي دخل أرض الرواية وغادرها دون التميز والتدقيق بتفاصيل حياته كما الإنسان العادي ، فهو (ايوب) غادر القرية دون أنْ يتكهن أحدٌ بحياته الغريبة ((وبعد أنْ أشبع ما أشبع منذ سنوات عن موته ودفنه في بلد بعيدة وأرض غريبة ... بعد كل هذا كيف لنا أن نصدق أن (أيوب) في كوخه من جديد ...)) (الرواية /197)، إنها النهاية ((يتضمن الموت من الناحية الوجودية فعل فيه قضاء على كل فعل ، وانه نهاية للحياة))[85] .

متابعتنا لمدى نجاح الكاتب بتجسيد ملامح الفكر الوجودي فهذا ما يتبين جليا للباحث من خلال أقوال وأحداث ومواقف التي سُردت تاركًا للقارئ الخوض في الكشف عن تلك الملامح بشكل اعمق من خلال الرجوع الى الرواية ، ولكن بطبيعة الحال يمكن القول إنَّ التوظيف الزمني للرواية لم يكن موفقًا فيه الكاتب الى حّدٍ بعيد ولاسيّما محاولاته الإضاعة في تسلسل أحداث الرواية زمنيًا من خلال افتقارنا إلى زمن كثير من الأحداث التي تبدو منقطعة عن ما قبلها وما بعدها وتعطي للقارئ صورة واضحة لإقحامها في ذلك المكان او ذاك ،لقد استطاع الرّكابي بقلمه السحري شد القارئ وبشكل واضح وجلي لأحداث الرواية كما أنَّ نجاح تصوير كثير من مخالجات وعواطف هذه الشخصية نقلها الركابي بأمانة .

[85] الموت في مسرحيات البير كامو: عامر محمد حسين سلمان : 39 . (ماجستير) – جامعة بابل ،2009م.

المصادر والمراجع:

الكتب :

1. الأدب ومذاهبه: د .محمد مندور ،، دار نهضة مصر للطبع والنشر– القاهرة.
2. ارصفة وجدران : محمد الزفاف ، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد، 1974.
3. أيوب (رواية) هشام توفيق الركابي،مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة –بغداد، 2000م .
4. البحث عن وليد مسعود(رواية)، جبرا إبراهيم جبرا، منشورات وتوزيع مكتبة الشرق الأوسط– بغداد، ط3 ،1985م.
5. البنيوية في الأنثروبولوجيا وموقف سارتر منها : د. عبد الوهاب جعفر ، دار المعارف ، 1980م.
6. تاريخ الوجودية في الفكر البشري :محمد سعيد العشماوي ، الوطن العربي – بيروت ، ط3 ، 1984م.
7. جماليات المكان : باشلار، غاستون، تر. غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر– بيروت، ط2، 1984.
8. دراسات في الفلسفة المعاصرة :د. زكريا ابراهيم ، مكتبة مصر – مصر ، ط1 ، 1986م.
9. ريلكه : تعريب الدكتور ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر – دمشق ، 1962.
10. الزمان الوجودي : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة – بيرت ، ط3 ، 1973م.
11. سارتر بقلمه : فرنسيس جانسون ،ترجمة الدكتور خليل صابات – مراجعة الدكتور ريمون فرنسيس ، منشورات نزار قباني – بيروت ، 1967 .
12. السارترية تهافت الأخلاق والسياسة: د. خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر– بيروت ، ط2،1982م .
13. شعرية الخطاب السردي – دراسة–: محمد عزام ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ،2005 .
14. الصخب والعنف : وليم فوكز ، جمعها وقدمها جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت ، ط 3 ، 1983 م.
15. *صهيل الجواد الأبيض : زكريا تامر، منشورات مكتبة النوري، دمشق، ط2، 1978.*
16. العزلة والمجتمع : نقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، مراجعة : على ادهم ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط2 ، 1986م.
17. الغير في فلسفة سارتر: فؤاد كامل ، دار المعارف –مصر، مكتبة الدراسات الفلسفية.
18. فلسفة جان بول سارتر : د. حبيب الشاروني، دار المعرف – الإسكندرية ، جلال حزى وشركاؤه ، أهداءات 2003 .
19. قراءة نقدية في وجودية سارتر : علي حنفي محمود، المكتبة القومية الحديثة – طنطا ، 1996م.
20. اللص والكلاب : نجيب محفوظ ، الأعمال الكاملة ، المجلد الثالث ، مكتبة لبنان – بيروت ، ط 1، 1991.

21. م. بوشنسكي "الفلسفة المعاصرة في أوربا" ، ترجمة د. عزت قرني ، سلسلة عالم المعرفة ع 165 المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1992م.
22. محاضرات ألقيت على طلبة الدكتوراه جامعة بغداد كلية الآداب /الفصل الدراسي الأول 2000م.
23. المذاهب الوجودية من كير كجورد إلى جان بول سارتر: ريجيس جوليفييه، ترجمة :فؤاد كاحل ، دار الآداب – بيروت،ط1 ،1988م.
24. مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات :محمد جواد مغنية ، دار مكتبة الهلال –بيروت ، دار الجواد – بيروت ، د.ت.
25. المرأة والسرد : محمد معتصم ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1، 2004م.
26. مشكلات فلسفية (1) مشكلة الحرية : زكريا ابراهيم ، دار الطباعة الحديثة – مصر ، ط2 ،د.ت .
27. المعقول واللامعقول : كولن ولسون ، ترجمة أنيس زكي حسن ، دار الآداب – بيروت ، ط5 ، 1981 .
28. من الوجودية الى العبث مسرحيتان وروايتان (لا مفر) : جان بول سارتر ، تر: جلال العشري ، مراجعة : د. امين العيوطي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
29. من فلسفة الوجود الى البنيوية(دراسة نقدية للاتجاهات الرئيسية) : ت .أ. أساخاروفا، ترجمة وتقديم : د.احمد البرقاوي ،دار المسيرة – لبنان ، ط 1، 1984م.
30. النقد الأدبي أصوله ومناهجه: سيد قطب، دار الشروق –بيروت، 1983م .
31. الوجودية : جون ماكوري ،. ترجمة : د. امام عبدالفتاح امام ، مراجعة : د. فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ، عدد (58) ،اكتوبر 1982م.
32. الوجودية الدينية دراسة في فلسفة باول تيليس : د. يمنى طريف الخولي ، دار قباء للطباعة والنشر – القاهرة ، 1998م.
33. الوجودية فلسفة الوهم الانساني : د.محمد ابراهيم الفيومي ، مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ، ط1 ، 1983م.
34. الوجودية فلسفة انسانية : جان بول سارتر: ت حنا دميان ، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ،1950م .

الدوريات :

1. الاغتراب في رواية "البحث عن وليد مسعود": د. حماد حسن أبو شاويش و د. إبراهيم عبد الرازق عواد: 128. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيه 2006.
2. باختين والزمان السردي الحديث : بيتي تيرتن، ترجمة : د. محمد درويش ،مج الأقلام ع1999،6م.
3. الرواية الوجودية بين الفلسفة والأدب : د. زكريا ابراهيم ، الآداب مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر لصاحبها د.سهيل إدريس ،ع 3(آذار – مارس 1963م / السنة 11).

4. فلسفة سارتر في الأخلاق والسياسة : د.سحبان خليفات ، مجلة مواقف الأردن ،ع2، السنة 2 ،140هـ-19878م.
5. كافكا في الرواية العربية والبطل المطارد: الدكتور نجم عبدالله كاظم، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 26 ،ع 1و2010،2 م.
6. مشكلة الحرية في رواية الطاعون : سيد صبحي، الآداب مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر لصاحبها د.سهيل إدريس ،ع 3(آذار – مارس 1963م / السنة 11).
7. ولدت في الطريق وسأموت في الطريق : جان جينيه، تر جمة وحوار : سعدالله ونوس، مجلة " الكرمل " ، العدد الخامس ، شتاء 1982م.

المصادر الاجنبية :

1. cf.R.Campbell:"L'Existenteialisme on France depuis in Liberation ",artieie dads "L'Activite Philosophique en France et aux Etats Unis ,P.U.F.1950 vol .11.P.152.
2. Extrait audio et texte de Jean-Paul Sartre, Huis clos, Emen © 1964 et Gallimard2004©.
3. Kessel ,Neil ,(1965) ." Death by choice . "Abbotempo .
4. Popkin,Richard H.and Avrum stroll, Philosophy Made Simple, P.294.

مواقع الإنترنيت :

1. إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة(2): مارتن هيدجر: عبد الله المطيري ، الرياض ، الخميس 9 ذي القعدة 1427هـ - 30 نوفمبر 2006م - العدد 14038 ينظر الموقع
http://www.alriyadh.com/2006/11/30/article205429.html.
2. باب الحيرة: يحيى القيسي ... رواية ينتهب القلق الوجودي بطلها الراوي : ينظر الموقع :
http://www.alzawraa.net/home/index.php?option=com_content&task=view&id=7765&Itemid=232
3. الجحيم هم الآخرون جان بول سارتر : الخميس، 11 فبراير، 2010 مدونة عثمان آيت مهدي ، ترجمة :عثمان آيت مهدي /http://eloustadhothmane.blogspot.com/2010_02/blog-post_11.html.
4. حياتي مع بيكاسو: لفرانسسواز جيلو نقلاً عن :المرأة ومشاكلها الوجودية لدى التشكيليات العراقيات : منير العبيدي ينظر الموقع : صحيفة الحوار المتمدن http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=33165

5. الفاعل الفلسفي في المسرح الوجودي – المومس الفاضلة نموذجا – : أبو الحسن سلام . مركز الدراسات والابحاث العلمانية في العالم العربي http://www.ssrcaw.org/ar/show.art.asp?aid=316178 .
6. الفلسفة الوجودية: ماجد محمد حسن ، الحوار المتمدن–العدد: 802 – 2004 / 4 / 12 موقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=16927.
7. الكوميديا الوجودية: فضح المحظور الثقافي/تحليل رواية "بابا سارتر" : حسين سرمك حسن . موقع مجلة الروائي الالكترونية http://www.alrowaee.com/article.php?id=824 .
8. الوجودية بين الأدب والفلسفة(دستويفسكي نموذجا) : د. بُرهان شاوي . مجلة المدى ، الاخبار ، الملاحق ، ملحق المنارات بتاريـــــخ : الثلاثاء 22–11–2011
http://www.almadasupplements.com/news.php?action=view&id=3509 .
9. الوجودية في.. النقد والرواية والمسرح : اسماعيل ملحم
http://philosophie69.jeeran.com/riwek21/archive/2009/7/917819.html.